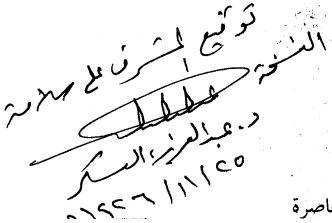

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين ـــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

# موقف المستشرقين من الافتراق والفرق
# ( الخوارج والشيعة)
# عرض ونقد

بحث لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين .

إعداد الطالب : مسفر بن سعيد بن علي لسلوم

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور: **عبد العزيز بن إبراهيم العسكر**
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

١٤٢٥- ١٤٢٦هـ .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين ـــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

# موقف المستشرقين من الافتراق والفرق
# ( الخوارج والشيعة)
# عرض ونقد

بحث لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين .

إعداد الطالب : مسفر بن سعيد بن علي لسلوم

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور: **عبد العزيز بن إبراهيم العسكر**
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة .

١٤٢٥- ١٤٢٦هـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

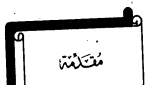


إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهده اللَّهُ فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا اللَّه وحدَهُ لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ صلَّى اللَّهُ عليهِ وعلى آلهِ وأصحابهِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [ آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [ النساء : ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [ الأحزاب : ٧٠-٧١].

إنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ - ﷺ- وشرَ الأمورِ محدثاتُها، وكلَ محدثة بدعةٍ، وكلَ بدعةٍ ضلالة ، أما بعد:-

فإنَّ اللَّهَ سبحانهُ وتعالى قد ابتلىَ هذهِ الأمةَ بالاختلافِ إلا من رحمَ ربُكَ،كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾ [هود ١١٨-١١٩] .

وأخبرَ الرسولُ ﷺ في الحديث أن هذه الأمةَ ستفترقُ على ثلاث وسبعين فرقة[1]، وبدأ ذلك الافتراق والاختلاف والفتنة في وقت مبكر جداً، حيث كان عمر بن الخطاب ﷺ هو الباب الحائل دون الفتنة التي تموج كما يموج البحر، وبموته انكسر ذلك الباب كما جاء في حديث حذيفة بن اليمان ﷺ [2]، فولجت إلى هذه الأمة الفتن كالليل المظلم، وظهرت تلك الفتن على السطح في آخر عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، وكانت سبباً في مقتله شهيداً، ثم ازدادت في عهد علي ﷺ، ثم أدت إلى افتراق الأمة الإسلامية وظهور فرقتين هما أقدم الفرق في تاريخ الإسلام: ألا وهما لخوارج والشيعة، وقد اهتم علماء الإسلام بصفة عامة، وعلماء المقالات والفرق منهم على وجه الخصوص بتلك الفرق وتدوين عقائدهم ومقالاتهم وبيان حالهم.

وفي القرون الثلاثة المتأخرة التي عاش المسلمون فيها في تخلف وجهل، كان الغرب الصليبي يعيش في حالة من التقدم والازدهار والتطور في شتى المجالات المادية، فتخصص الكثير من أبنائهم في دراسة العالم الإسلامي من كل جوانبه العقدية والتاريخية والجغرافية وغيرها، فتناول فريق منهم الفرق الإسلامية على وجه الخصوص، وتخصصوا فيها ودرسوها وألفوا عنها، وبعضهم أوقف حياته لدراسة فرقة من الفرق .

وكانت تلك الجهودُ الاستشراقيةُ في علم الفرق مجهولة إلى حد كبير عند الكثير من طلاب العلم والمثقفين والمتخصصين- وأنا منهم - ، على رغم غزارة إنتاج المستشرقين في ذلك الفن، إلا أن المعلوم لدي ولدى الكثير غيري من الباحثين أن موقف المستشرقين موقف عدائي من الإسلام وعلومه، وليس لهم هدف إلا تصيد الثغرات للطعن في الإسلام.

وبعد قراءة مبدئية لكتب المستشرقين اتضح لي أنَّ فيهم المنصف الذي شخص تلك الفرق تشخيصاً سليماً من ناحية عقائدهم وتاريخهم ورجالهم ومصادرهم، ولهم أقوال

---

(1) لفظ الحديث : قال ﷺ على سبيل التحذير : « **تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلكَ ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة** » أخرجه أبو داود في سننه : ٤/١٩٧ ، كتاب : السنة ، باب : شرح السنة ، ح (٤٥٩٦) من طريق أبي هريرة . وأخرجه كذلك ابن ماجة في السنن : ٢/١٣٢٢، كتاب : الفتن ، باب : افتراق الأمم ، ح (٣٩٩١ ــ ٣٩٩٣) .وأخرجه الترمذي في الجامع الصحيح : ٥/ ٢٥ ، كتاب : الإيمان ، باب : ما جاء في افتراق هذه الأمة ، ح (٢٦٤٠) وقال : حديث حسن صحيح . وقال الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج١/ص٢١٧هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وله شواهد .

(2) صحيح البخاري ١/ ١٩٦ كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلاة كفارة ح ٥٠٢. و ٦/ ٢٥٩٩ كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ح ٦٦٨٣، وسيأتي نص الحديث .

جميلة في نقد تلك الفرق، وخروجها عن جادة الإسلام الصحيح، هذا بغض النظر عن أهدافهم من وراء ذلك، ومن المستشرقين من انساق وراء تلك المذاهب فأخذ يكيل لهم المديح والثناء، ويصورهم على أنهم الممثل الحقيقي للإسلام، ومنهم من كان يحمل أحقاداً وأهدافاً عدائية فيطعن في الإسلام من خلال دراسته لتلك الفرق، ولذلك رغبت في دراسة موقف المستشرقين من الافتراق والفرق (الخوارج والشيعة).

وشجعني على الإقدام لدراسة هذا الموضوع -إضافة لما سبق- خلو المكتبة الإسلامية من كتاب يدرس الموضوع من كل جوانبه، والرغبة في الإسهام في دعوة المنتسبين لهذه الفرق، لأن الكثير من أبناء الأمة الإسلامية ومنهم الخوارج والشيعة ينظرون للغرب نظرة الإعجاب والانبهار بما وصل إليه من تقدم وحضارة وتفوق في المجالات الدنيوية، والعلمية، حتى أن بعضهم يستشهد بأقوال الغربيين وآرائهم أكثر مما يستشهد بأقوال علماء الإسلام، وشغفوا بها كما شغف أهل الكلام في العصور المتقدمة بالفلسفة اليونانية.

فإذا بيّنّا لأصحاب تلك الفِرق أقوال علماء الاستشراق المنصفين في عقيدتهم ومذهبهم فقد يكون ذلك مقبولاً لديهم، لا سيما أن الثقة أصبحت شبه مفقودة بين بعض علماء المذاهب والفرق الإسلامية، بسبب موجة تكفير كلٌ منهم للآخر -إلا من رحم ربك- ، وغياب المجادلة بالتي هي أحسن للوصول إلى الحق.

ويزيد الموضوع أهمية أن بعض تلك المذاهب كالباطنية من الشيعة مثلاً ، تخفي عقائدها، وأسرارها على الكثير من أتباعها، لا سيما الطبقة المثقفة منهم، وتستخدم معهم طريقة الخداع والتمويه، وتتظاهر بالتوحيد والتشيع وهم عكس ذلك، فعندما نبرز أقوال المستشرقين ونضمها لأقوال علماء الإسلام في بيان حقيقة تلك الفرق، فلعل في ذلك مزيد من حشد الأدلة والبراهين والحجج التي تساعد في إماطة اللثام عن حقيقة تلك المذاهب، وتعريتها على حقيقتها أمام أتباعها، وكشف الغشاوة عن أعين المنخدعين بها.

لهذا استعنت بالله تعالى بعد الاستشارة والاستخارة في تقديم هذا الموضوع لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ورسمت خطة سرت عليها تتكون من هذه المقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

كتبت في التمهيد بإيجاز عن: مفهوم الاستشراق، ونشأته، وأهدافه، ومراحل تطـوره.
والباب الأول خصصته: لمصادر المستشرقين ومنهجهم في دراسة الفـرق، وفيـه ثلاثـة فصول:-

الفصل الأول: مصادر المستشرقين في دراسة الفرق.

والفصل الثاني: منهج المستشرقين في دراسة الفرق.

وقسمته إلى مبحثين:

المبحث الأول: بينت فيه قواعد منهج المستشرقين.

والمبحث الثاني: وضحت فيه خصائص منهج المستشرقين.

والفصل الثالث: بينت فيه آثار الدراسات الاستشراقية في الدراسات الإسلامية في علم الفرق.

أما الباب الثاني فخصصته لبيان أسباب الافتراق عند المستشرقين ( عرض ونقد ).

وقسمته إلى فصلين :-

تحدثت في الفصل الأول عن: الأسباب الخارجية.

وفي الفصل الثاني عن: الأسباب الداخلية.

أما الباب الثالث: فخصصته لبيان موقف المستشرقين من الخوارج ( عرض ونقد ).

ويشتمل على تمهيد وثلاثة فصول:-كتبت في التمهيد نبذة مختصرة عن الخوارج .

وتحدثت في الفصل الأول عن المستشرقين الذين عُنوا بدراسة الخوارج .

وعرفت بهم وبمناهجهم ومصادرهم في دراسة الخوارج .

والفصل الثاني تحدثت فيه عن موقف المستشرقين من نشأة الخوارج.

والفصل الثالث عن موقف المستشرقين من عقيدة الخوارج .

أما الباب الرابع فكان عن موقف المستشرقين من الشيعة ( عرض ونقد ).

وقسمته إلى تمهيد وثلاثة فصول :-

في التمهيد كتبت نبذة موجزة عن الشيعة.

وفي الفصل الأول تكلمت عن موقف المستشرقين من نشأة التشيع وأصوله.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: موقف المستشرقين من نشأة التشيع.

المبحث الثاني: موقف المستشرقين من أصول التشيع .

أما الفصل الثاني فخصصته لبيان موقف المستشرقين من الاثني عشرية ( عرض ونقد ) .

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول بينت فيه المستشرقين الـذين عُنـوا بدراسـة الاثـني عـشرية وعرفت بهم وبمناهجهم ومصادرهم في دراسة الاثني عشرية .

والمبحث الثاني : موقف المستشرقين من نشأة الاثني عشرية وأسبابها

والمبحث الثالث : موقف المستشرقين من مصادر الاثني عشرية .

والمبحث الرابع : موقف المستشرقين من عقائد الاثني عشرية.

أما الفصل الثالث والأخير فكان عن موقف المستشرقين من الإسماعيلية وفرقها ( عرض ونقد ) .

وقسمته إلى خمسة مباحث :-

المبحث الأول بينت فيه المستشرقين الذين عُنوا بدراسة الإسماعيلية.

وعرفت بهم وبمناهجهم ومصادرهم في دراسة الإسماعيلية .

والمبحث الثاني: موقف المستشرقين من نشأة الإسماعيلية وأسبابها.

والمبحث الثالث: موقف المستشرقين من مصادر الإسماعيلية.

والمبحث الرابع: موقف المستشرقين من عقائد الإسماعيلية.

والمبحث الخامس: موقف المستشرقين من فرق الإسماعيلية.

ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أما منهجي الذي سرت عليه في إعداد هذه الرسالة فاتبعت المنهج الاستقرائي حيـث قرأت ما وقع تحت يدي مما كتب حول الاستشراق والمستشرقين، واستخرجت ما يتعلق بمفهوم الاستشراق، وأهدافه ، ونشأته والمراحل التي مر بها.

ثم جمعت ما استطعت جمعه من كتب المستشرقين المترجمة ثم قرأتها، و اسـتخرجت المادة العلمية المتعلقة بالافتراق والفرق ( الخوارج والشيعة)، وركزت على «دائرة المعارف الإسلامية» التي جمع المستشرقون قواهم في تأليفها، وحوت خلاصة أبحاثهم، ولما لها مـن

رواج وانتشار في الأوساط الثقافية والعلمية في العالم الإسلامي، وبما أن النسخة العربية الأولى التي ترجمها أحمد الشنتناوي وآخرون في خمسة عشر مجلداً توقفت عند حرف العين فقط، ولم تترجم المواد الأخرى، وقام مركز الشارقة بترجمة موجزة للدائرة كلها، في ثلاثة وثلاثين مجلداً، فقد اعتمدت على النسخة الأولى ثم على الموجز في الأحرف المتبقية.

ثم نهجت المنهج التحليلي النقدي فبعدما جمعت المادة العلمية قمت بتحليلها وصياغتها على حسب الأبواب والفصول في الخطة، وإن كانت أقوال المستشرقين موافقة للحق والصواب فإنني أعرض أقوالهم من خلال مؤلفاتهم، ثم أعزز كلامهم بما وقفت عليه من كلام علماء الإسلام، وإن كانت أقوالهم مخالفة للحق والصواب والواقع، فإني أنقدها وأبين بطلانها مع إبراز أقوال المستشرقين الآخرين الذين وافقوا الحق كرد على أولئك.

وقمت بعزو الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث [1] وبيان الحكم عليها من خلال كلام الأئمة، والتعريف بالفرق، والترجمة للأعلام، وقد آثرت الاختصار حتى لا أثقل الحاشية، ووضعت فهارس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار السلف، والفرق والطوائف، والأعلام، والأماكن، ومراجع البحث ومصادره، والموضوعات.

وبذلت ما في وسعي لإخراج هذا الموضوع على أحسن حال، على الرغم من سعة الموضوع، وكثرة المستشرقين واختلاف مناهجهم ومشاربهم وأساليبهم.

وإنني في الختام- امتثالاً لقول الرسول ﷺ : ((**لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناسَ**)) [2]- أشكر فضيلة الشيخ الدكتور / عبد العزيز بن إبراهيم العسكر المشرف على هذه الرسالة، على ما قدمه لي أثناء هذا البحث من توجيهات علمية كانت نبراساً أستضئ به خلال تلك السنوات التي عشتها مع هذا البحث، وعلى ما غمرني به من عناية خاصة، وأخلاق فاضلة، وتواضع جم، فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عني خير الجزاء، ويجعل ما قدمه في ميزان حسناته، إنه سميع مجيب ، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(1) وقد استعنت ببرنامج الحاسوب (( المكتبة الألفية للسنة النبوية)) – الإصدار الثالث- مركز التراث للبرمجيات- الأردن.

(2) أخرجه الترمذي في السنن ج٤/ص٣٣٩ كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، حديث رقم ١٩٥٤ من طريق أبي هريرة وقال هذا حديث حسن صحيح ، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه: ٨/ ١٩٨ باب المسألة والأخذ ح ٣٤٠٧، وأبو داوود في السنن : ٤/ ٢٥٥، كتاب الأدب ، باب في شكر المعروف، ح ٤٨١١. والإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٩٥، ح ٧٩٢٦.

# التمهيد

وفيه ثلاثة مطالب :-

- معنى الاستشراق .
- نشأة الاستشراق ومراحل تطوره.
- أهداف الاستشراق.

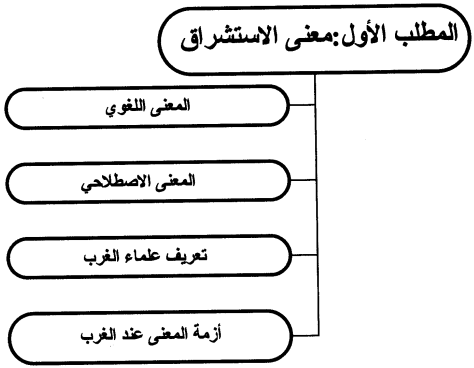
المطلب الأول:معنى الاستشراق
المعنى اللغوي
المعنى الاصطلاحي
تعريف علماء الغرب
أزمة المعنى عند الغرب

## ١- المعنى اللغوي:-

كلمة أومصطلح الاستشراق « Orentalisme » شاع كثيراً في العصور المتأخرة، وهو مصطلح حديث ظهر أولاً في الغرب، لذا لم نجد له في معاجم اللغة العربية المتقدمة ذكراً مثل: لسان العرب لابن منظور، ومختار الصحاح للرازي وغيرهما [١].

وقد أشار إلى مصطلح الاستشراق صاحب معجم متن اللغة - وهو معاصر- فقال:« استشرق: طلب علوم الشرق، ولغاتهم « مولدة عصرية » يقال: لمن يُعنى بذلك من علماء الفرنجة »[٢].

وجاء في موسوعة « المنجد » أن المستشرق:« العالم باللغات والآداب والعلوم الشرقية، والاسم الاستشراق »[٣].

فمصطلح مستشرق مأخوذ من مادة « الشَّرْقُ » أي جهة شروق الشمس، وليس من « شَرَقَ » كما قال بعض الباحثين ومنهم الدكتور أحمد سمايلوفتش، و الدكتور عبد المنعم فؤاد، و الدكتور أحمد السايح [٤]؛ لأن شرق بمعنى طلع، أو أضاء. يقال: شَرَقَتِ الشمسُ شرقاً وشروقاً إذا طلعت [٥].

واستشرق أي طلب علوم الشرق لأن السين والتاء إذا زيدت في الكلمة قصد بهما الطلب، مثل استغفر أي طلب الغَفْرَ ( العفو ) أو المغفرة [٦]، واستنصح أي طلب النصيحة، وهكذا [٧]، وهي مرادفة لـ « شرَّق » بتشديد الراء وفتحها بمعنى سار نحو

---

(١) لسان العرب – ابن منظور ١٠/ ١٧٣- ١٧٥ مادة شرق . ط/ ١/ ١٤١٠هـ دار صادر – بيروت / لبنان ، ومختار الصحاح – الرازي ،ص ١٦٥، دار المنار – ط بدون تاريخ.والقاموس المحيط – الفيروزآبادي : ١١٥٨ مادة شرق ط/٤/ ١٤١٥هـ مؤسسة الرسالة بيروت /لبنان

(٢) معجم متن اللغة – أحمد رضا ٣/٣١٠، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٧٨هـ .

(٣) المنجد في اللغة والأدب والإعلام – لويس معلوف ص ٣٨٤ ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط/٣٣ / ١٩٩٢م .

(٤) الدكتور أحمد سمايلوفتش – فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ص ٢١ . دار الفكر العربي /القاهرة – مصر ١٤١٨هـ . و الدكتور عبد المنعم فؤاد – في من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام –ص١٥ ، ط/١/ ١٤٢٢هـ مكتبة العبيكان ـــ الرياض / السعودية . و الدكتور أحمد السايح في الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي ص٩ ، ط/١/١٤١٧هـ الدار المصرية اللبنانية – القاهرة – مصر .

(٥) لسان العرب – ابن منظور ١٠/ ١٧٣- ١٧٥ مادة شرق ، والمعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون – ٤٨٠

(٦) لسان العرب – ٥/ ٢٦، والمعجم الوسيط :٦٥٦.

(٧) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل – الدكتور إسماعيل علي محمد ص ١١ . دار الكلمة – المنصورة –مصر ط/ ٣/١٤٢١هـ .

الشرق أو ذهب إليه أو أتى إليه [1]، ومنه قول الرسول ﷺ : «**لا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا**»[2]، وفسر شُراح الحديث (شرِّقوا وغرِّبوا) في الحديث بمعنى: توجَّهُوا إلى جهة الشرق أو الغرب [3].

## ٢-المعنى الاصطلاحي عند علماء الشرق .

يشوب معنى الاستشراق عند الباحثين والمختصين كثير من الاختلاف حول تحديد معنى هذا المصطلح، فمن الباحثين من يرى صعوبة تعريف علم الاستشراق، وأن تعريفه - حسب قولهم - ضرب من المحال ، وكل تعريف نجهد أنفسنا لوضعه لن يكون شاملاً جامعاً مانعاً كما يقول المناطقة [4]، ... ويبرر أصحاب هذا القول موقفهم بأمور منها التباين الكبير في مجالات الاستشراق، والحقول المتعددة التي يتناولها، وطبيعة الناس القائمين بهذه الدراسات، واختلافهم طبقاً للمراحل الأساسية التي مرت بها ظاهرة الاستشراق وغير ذلك [5] .

إلا أن جمهور الباحثين والمختصين عرفوا الاستشراق، مع أنهم اختلفوا في تسميته هل يسمى علماً، أو ظاهرة، أو فلسفة، أو فناً، أو غير ذلك .

---

(١) لسان العرب ١٠/ ١٧٣- ١٧٥ مادة شرق ، والمعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى وآخرون – ٤٨٠

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب: الوضوء ، باب:لا تستقبل القبلة بغائط أو بول ، ١/ ٦٦، ح ( ١٤٤) ، وباب: قبلة أهل المدينة والشام ، ١/ ١٥٤ح( ٣٨٦) . ومسلم كتاب : الطهارة ، باب : الاستطابة : ١/ ٢٢٤ ح ( ٢٦٤) ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب : الاستطابة : باب : ذكر الزجر عن استقبال القبلة واستدبارها – ٤/ ٢٦٤، ح ( ١٤١٦) و ( ١٤١٧) ، وابن خزيمة في صحيحه باب ذكر خبر روي عن النبي ﷺ في النهي عن استقبال القبلة : ١/ ٣٣. ح (٥٧) .

(٣) عمدة القارئ – بدر الدين محمود العيني ٢/٢٧٧، تحفة الأحوذي – محمد عبدالرحمن المباركفوري ١/ ٤٤، وحاشية السندي – نور الدين عبدالهادي السندي ١/ ٢٣، وفيض القدير- للمناوي ١/ ٢٣٩.

(٤) المناطقة هم اتباع منطق أرسطو الذي ساد في الغرب في العصرين القديم والوسيط، ويقوم على الحد والقياس، وبهتم بصور التفكيردون أن يبحث في طبيعة الموضوعات، ويدعي صلاحيته لكل العلوم، ووصوله إلى حقائق ثابته، وقد تلقاه فلاسفة المسلمون بإعجاب شديد، ونقده شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه نقض المنطق، وقال:((لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد))،كما نقده فلاسفة الغرب أمثال بيكون، وجون ستيوارت مل وغيرهما ( نقض المنطق – ابن تيمية ص ١٤، والتفكير المنطقي – بين المنهج القديم والمنهج الجديد- الدكتور/ عبد اللطيف محمد العبد – ص٤٣)

(٥) انظر نقد الخطاب الاستشراقي الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية – الدكتور ساسي سالم الحاج ص١/ ١٧، ٢٣ .ط١/ ٢٠٠٢م دار المدار الإسلامي – بيروت – لبنان .

فالدكتور حمدي زقزوق لا يرى تسمية الاستشراق في دراسته للإسلام علماً بأي مقياس علمي؛ لأنه (من وجهة نظره ) عبارة عن إيديولوجية [1] خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام .[2]

ويخالفه في الرأي الدكتور ساسي الحاج فيقول:(( فإذا طبقنا معايير العلم على الاستشراق وصلنا إلى نتيجة مفادها أنه علم وليس فناً ... ولكن بالرغم من النتيجة التي توصلنا إليها بالخصوص، فإن عنوان دراستنا هو (( الظاهرة الاستشراقية ))، ونحن عندما اخترنا هذا العنوان قصدنا من ورائه القول: إنه بالرغم من اعتبارنا الاستشراق علماً من العلوم الإنسانية، فإنه لا يتمتع كبقية العلوم الأخرى بصفات الديمومة والثبات والاستقرار، ومن هنا أطلقنا عليه اسم (( الظاهرة )) ..))[3].

أما الدكتور أحمد سمايلوفتش فسماه علماً [4]وظاهرة [5] وفلسفة وعنون لكتابه بـ (( فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر)).

وحقيقة الأمر أن الاستشراق أصبح أمراً واقعاً منذ عدة قرون وإلى يومنا هذا، وسواء سُمي علماً أو فلسفة أو ظاهرة، فلا مشاحة في الاصطلاح، والأسماء لا تغير من الحقيقة شيئاً .

وربما لا أُسلِّم للدكتور ساسي الحاج في قوله السابق أن الاستشراق:(( لا يتمتع كبقية العلوم الأخرى بصفات الديمومة والثبات والاستقرار)) فهو يتصف بالديمومة منذ أمد بعيد، لكونه الخلفية الفكرية للصراع بين الشرق والغرب، الصراع بين الحق والباطل، والصراع قائم منذ فجر الرسالة المحمدية إلى اليوم، إلا أنه يتغير بحسب ظروف الزمان والمكان .

---

[1] أيدلوجية: مصطلح لاتيني الأصل استخدم لأول مرة في مطلع القرن التاسع عشر ميلادي ويعني علم الأفكار والعقائد والآراء من حيث نشأتها وأصولها وخصائصها ..الخ ( الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٨٠)

[2] الإسلام والاستشراق ص ٢١ .

[3] الظاهرة الاستشراقية ٢١-٢٢ .

[4] فلسفة الاستشراق ص ٢١ .

[5] فلسفة الاستشراق ص ٧ .

أما تعريف علماء الإسلام للاستشراق فإنه لا يخرج عن ثلاثة اتجاهات :-

**الأول: الاتجاه العام.**

وهو الاتجاه الذي يرى أن الاستشراق هو دراسة الشرق ولم يحدد منطقة بعينها أو ديناً أو حضارة، ومن أصحاب هذا الاتجاه :-

الدكتور عبد الرحمن حبنّكة الميداني الذي عرف الاستشراق في كتابه «أجنحة المكر الثلاثة» بقوله:« تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين:( شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات، وحضاراتهم، وكل ما يتعلق بهم ) ..»[1]

وكذلك عرف مؤلفا « المفصل في تاريخ الأدب العربي» المستشرق بقولهما:« كل من تجرد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية، وتقصي آدابها، طلباً للتعرف على شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانتها أو علومها وآدابها، أو غير ذلك من مقومات الأمم، والأصل في كلمة ( استشرق ) أنه صار شرقياً، كما يقال ( استعرب ) إذا صار عربياً »[2]

وممن عرف الاستشراق ضمن هذا الاتجاه الدكتورحمدي زقزوق[3]، وإدوارد سعيد[4].

**الثاني: الاتجاه الخاص.**

وهو الاتجاه الذي يرى أصحابه أن الاستشراق هو دراسة الدين الإسلامي على وجه الخصوص ومن أصحاب هذا الاتجاه :-.

«مالك بن نبي» الذي عرف المستشرق بقوله:«إننا نعني بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية»[5] وكذلك الدكتور الجليند

---

[1] أجنحة المكر الثلاثة – حبنكة الميداني ، ص ١١٨ ،ط/ ٦/ ١٤١٠هـ دار القلم ، دمشق ، سوريا .

[2] المفصل في تاريخ الأدب العربي – احمد الإسكندري وأحمد أمين ٢٠/٤٠٨.

[3] انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري – الدكتور محمود حمدي زقزوق – ص ١٨ .

[4] انظر الاستشراق – إدوارد سعيد – ترجمة كمال أبو ديب ص ١٢٠ . مع ملاحظة أن إدوارد سعيد مسيحي الديانة فلسطيني المولد، أمريكي الجنسية، وأستاذ كرسي في جامعة كولمبيا الأمريكية، وله مواقف جيدة في نقد الفكر الاستشراقي، والسياسات الغربية التي تقوم عليه، مما أثار ضد فكره موجه عدائية واسعة النطاق في الغرب(جريدة الحياة- العدد- ١٤٨٥٨- ٥/١٠/١٤٢٤هـ ص١٥)

[5] إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ص ٥-٦ ، ط/ ١/ ١٩٦٩م دار الإرشاد – بيروت – لبنان .

عرف الاستشراق بقوله:(( الاستشراق أُطلق على تلك المحاولة التي قام ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافة الشرق وعلومه ))[1]

وكذلك كان الدكتور زقزوق ممن فصل القول في المعنى العام كما تقدم والمعنى الخاص حيث قال في المعنى الخاص هو:(( الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وتاريخه وحضارته وتشريعاته ، وهذا هو المعنى الذي ينصرف إليه الذهن في العالم الإسلامي عند إطلاق لفظ الاستشراق ))[2] ويقارب تعريف الدكتور زقزوق ما جاء في الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة [3]، وممن ينحو هذا النحو أيضاً الدكتورعلي النملة في كتابه الاستشراق في الأدبيات العربية [4].

وقد عدَّ الدكتور النملة العربَ غير المسلمين من المستشرقين، كنجيب العقيقي وفيليب حتى ونظمي لوقا وغيرهم[5]، إلا أن بعض الباحثين لا يوافقه على ذلك الرأي[6].

وهذه مسألة لا يتسع المقام هنا لبسطها، وأرى أن هؤلاء أي العرب غير المسلمين الذين يعيشون بيننا، ويتكلمون لغتنا، يتفقون مع أخوانهم المستشرقين في العقائد والأهداف، وقد يكونون أخطر من أولئك، ومع أن بعضهم يعد نفسه من المستشرقين، إلا أني لم أطمئن لأدخالهم ضمن المستشرقين في هذا البحث، بحكم أنهم محل خلاف بين الباحثين.

**الثالث: الاتجاه الأخص.**

وهو الاتجاه الذي يرى أنَّ الاستشراق هو الدراسات الأكاديمية التي يقوم بها غير المسلمين عن الإسلام [7] . والمستشرق في نظر هؤلاء هو الأكاديمي فقط، فأخرجوا الرّحالة، والضباط، والعاملين في إدارة المستعمرات، والسياسيين، والصحفيين وغيرهم، وهؤلاء قد أسهموا في الدراسات الاستشراقية بجهود لا يمكن تجاهلها.

---

(1) الاستشراق والتبشير الدكتور محمد السيد الجليند ص ١٠ ، دار قباء للطباعة والنشر القاهرة – مصر ط/ بدون / ١٩٩٩م

(2) المرجع ما قبل السابق – ص ١٨ .

(3) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – ٢/ ٦٨٧ . ط/٤/١٤٢٠هـ .

(4) الاستشراق في الأدبيات العربية ، الدكتور علي إبراهيم النملة ص ١٧ .

(5) الاستشراق في الأدبيات العربية ، الدكتور علي إبراهيم النملة ص ١٧ .

(6) ومنهم الدكتور عبد المنعم فؤاد ، في كتابه (( من افتراءات المستشرقين)) ص ١٨ .

(7) أحمد غراب في رؤية إسلامية للاستشراق ص ٧ ، و الدكتور عبد المنعم فؤاد – من افتراءات المستشرقين ص ١٨ .

وإذا أمعنا النظر في هذه الاتجاهات الثلاثة في تعريف الاستشراق، لم نجد بينها اختلافاً كبيراً؛ لأن أصحاب الاتجاه العام الذين عرفوا الاستشراق بدراسة الشرق ولم يحددوا منطقة بعينها أو ديناً أو حضارة، عرفوا الاستشراق من منظور الغربيين أنفسهم، أما أصحاب الاتجاه الثاني الذين عرفوا الاستشراق بدراسة الدين الإسلامي على وجه الخصوص، فعرفوا الاستشراق من منظورنا نحن المسلمين، أما أصحاب الاتجاه الثالث الذين يميلون إلى حصر الاستشراق بالدراسات الأكاديمية فربما نظروا إلى أن جُل المستشرقين ينتمون إلى الأقسام العلمية المتخصصة في دراسة الشرق في الجامعات الغربية.

## ٣- تعريف علماء الغرب:-

الاستشراق مصطلح استحدثه الغربيون حديثاً نسبياً ( في آخر القرن الثامن عشر الميلادي )، فقد ظهرت كلمة مستشرق « Orentaliste » في إنجلترا سنة ١٧٧٩م ، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م ، ثم أُدرجت كلمة الاستشراق « Orentalisme » في قاموس المجمع العلمي الفرنسي «Dictionaire de L;Academie francaise » سنة ١٨٣٨م [١] .

وعرفه بعض علماء الغرب من المستشرقين فقال المستشرق **بارت** :« الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، ولا بد لنا إذن أن نفكر في المعنى الذي أطلق عليه كلمة استشراق المشتقة من كلمة « شرق » وكلمة شرق تعني مشرق الشمس ، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي ..»[٢] ويظهر من تعريف بارت أنه خص الاستشراق بدراسة علم اللغة إلا أن المستشرق ميكلنجلو **جويدي** [٣]

---

[١] الإسلام والاستشراق – الدكتور محمود حمدي زقزوق ، ص ١٠ ، ط/١/ ١٤٠٤ هـ ، مكتبة وهبة ، القاهرة – مصر . فلسفة الاستشراق – سمايلوفتش ص ٢٦ ،و الاستشراق – الذرائع ، النشأة ، المحتوى : الدكتور السيد أحمد فرج ص ١٧ ، وشبهات حول الاستشراق : فراج الفزاري ص ١٥ .

[٢] آ . آربري ، المستشرقون البريطانيون ، ص ٧-٨ ترجمة محمد الدسوقي النويهي ، مطبعة وليام كوليز – لندن ( نقلاً عن سمايلوفتش –فلسفة الاستشراق – ص٢٣ ) .

[٣] ميكلنجلو جويدي مستشرق إيطالي ورث الاستشراق عن أبيه اجنتسيو جويدي، ولد سنة ١٨٨٦م، في روما وتخصص في التاريخ الديني وعني بالتراث اليوناني، ودعته الجامعة المصرية الجديدة فقام بالتدريس فيها ثلاث سنوات، وعني باليزيدية، والصراع بين الإسلام والمانوية، وتوفي سنة ١٩٤٠م ( موسوعة المستشرقين- بدوي ص ١٣٩).

Michelangelo Guidi يخالفه الرأي فيقول: « ..ليس صاحب علم الشرق الجدير بهذا اللقب بالذي يقتصر على معرفة بعض اللغات المجهولة أو يستطيع أن يصف عادات بعض الشعوب، بل إنما هو من جمع بين الانقطاع إلى درس بعض أنحاء الشرق وبين الوقوف على القوى الروحية الأدبية الكبيرة التي أثرت على تكوين الثقافة الإنسانية ...وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها..»[1]

وقال **شاخت** Schacht [2]:« الاستشراق هو اشتغال أهل الذمة يهود ونصارى بدراسة علوم الشرق الإسلامي ..»[3]

وقال المستشرق الإنجليزي مونتجمري واط.Watt، w. m [4] :« الاستشراق هو دراسة ثقافات وحضارات الشرق- أي آسيا- ويشتمل على دراسة اللغات والآداب والتاريخ والدين، وهو يعني ليس فقط بالحضارات الكبرى الموجودة، مثل حضارة الصين والهند والشرق الأوسط الإسلامي، ولكنه يعني أيضاً بالحضارات السابقة مثل حضارة مصر وبلاد النهرين»[5] وهناك تعريفات مقاربة لما سبق كتعريف **ديتريش** [6]، وقاموس إكسفورد الجديد [7]، وغيرها .

وبهذا يتضح أن علم الاستشراق أو علم الشرق عند الغربيين، هو العلم الذي يختص بدراسة كل ما يتعلق بمعارف الشرق بصفة عامة، من لغة وآداب، وتاريخ وحضارة، ودين وغير ذلك، وعلى وجه الخصوص ما يتعلق بدراسة العالم الإسلامي .

---

(1) أ. حويدي ، علم الشرق وتاريخ العمران ص١١-١٤ ، الزهراء ، الربيع الأول ١٣٤٧هـ .

(2) جوزيف شاخت مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي ولد سنة ١٩٠٢م ، وعمل في الجامعات الألمانية ثم انتقل للتدريس في الجامعة المصرية، وله اهتمام بدراسة المخطوطات العربية، وتحقيق النصوص الفقهية، ودراسة علم الكلام مات سنة ١٩٦٩م (موسوعة المستشرقين – بدوي ص ٢٥٢)

(3) تراث الإسلام تصنيف شاخت وبوزورث ص ٢٨ ط عالم المعرفة – الكويت .

(4) وليم مونتجمري وات أو واط مستشرق بريطاني معاصر تركزت اهتماماته في السيرة النبوية، ومن مؤلفاته محمد في مكة، ومحمد بالمدينة، وعوامل انتشار الإسلام وغيرها ( المستشرقون- العقيقي- ٢/ ٥٥٤).

(5) أزمة الاستشراق – الدكتور محمد خليفة ص ١٤٣.

(6) سمايلوفتش – فلسفة الاستشراق – ص٢٥ )

(7) المرجع ما قبل السابق نفس الصفحة.

## ٤-أزمة المصطلح الاستشراقي لدى الغرب .

أصبح المتخصصون من الغربيين في الدراسات الشرقية في الوقت الحديث والمعاصر يتنصلون من اسم الاستشراق، ولا يرضون بتلقيب أنفسهم بـ « مستشرق » ، وذلك نظراً لارتباط الاستشراق بالاستعمار والتنصير، وظهور ذلك الترابط والتحالف الثلاثي الماكر عياناً للمسلمين وغيرهم، مع ظهور صحوة المسلمين ونقدهم للدراسات الاستشراقية، وكشف حقائقها، وهتك أستارها، وبيان أهدافها.

ويبين الدكتور السامرائي كره المسلمين لهذا المصطلح وبعض أسبابه فيقول:« إن لفظة « مستشرق » تثير في نفوسنا أحاسيس شتى بيد أنها لا تخلو من الشك والارتياب، وهذا الشك، وهذا الارتياب، ليسا من صنعنا ولا من طبيعتنا، بل إنهما من صنع بعض المستشرقين المسرفين، الذين لم يتجردوا عن يهوديتهم أو نصرانيتهم أو عرقيتهم، حين كتبوا عن العرب أو عن الإسلام، وضرر هؤلاء لم يهدم للإسلام تراثاً ولا للمسلم ديناً، بقدر ما كان في كتاباتهم من ضرر على أبناء جلدتهم، من تشويه للحق، ومجانبة للبحث العلمي الصرف »[1].

ويقر بتلك الحقيقة المستشرق الفرنسي دانيال ريج الذي اعترف بكراهية المسلمين والعرب لهذين المصطلحين ( الاستشراق والمستشرق ) ويشير إلى الغموض الكامن فيهما، وإلى تطابق مصطلح « الاستشراق » في الجرس والوزن مع لفظ « الاستعمار » في ذهن المسلمين ، ويصرح بمعرفة المستشرقين أنّ فكرهم متهم بالتعاون مع المؤسسة الاستعمارية ، وبنهب التراث الثقافي العربي ، وتشويه التراث ...ويدعو إلى التنصل من هذا الاسم بتجديده، ويختار له اسماً جديداً وهو علم « العربولوجيا »[2]

---

[1] الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية- الدكتور قاسم السامرائي- ص١٧ .ط/١/ ١٤٠٣هـ، دار الرفاعي ، الرياض ، السعودية .

[2] أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر – الدكتور محمد خليفة حسن ، ص ٢٦ . جامعة الإمام ، ط/١/ ١٤٢١هـ .

وقد رفض مستشرق أمريكي معاصر يدعى جون اسبوزيتو [1] في محاضرة ألقاها في السفارة الأمريكية بالرياض أن يُدعى من المستشرقين ، وصرح أنه يكره هذا اللقب[2]، وفضل أن يدخل في حِمى أو تحت اسم « علماء الإسلاميات »[3] Islamist أو Islamologist.

وعلى صعيد المؤتمرات الاستشراقية كان هناك هروب وتنصل من هذا الاسم، فقد حمل مؤتمر المستشرقين اسم « مؤتمر المستشرقين العالمي » أكثر من قرن ونصف، منذ انعقاد مؤتمر المستشرقين الأول سنة ١٨٧٣م، حتى غيَّر القائمون على مؤتمرات الاستشراق العالمية، اسم مؤتمرهم الذي انعقد في باريس سنة ١٩٧٣م، إلى المؤتمر العالمي للعلوم الإنسانية في آسيا وشمال إفريقيا [4].

وقد فضل كثير من الغربيين أن يستبدل مصطلح الاستشراق بمصطلحات حديثة منها:-

أنهم غيروا اسم تخصصهم من الاستشراق إلى الدراسات الإقليمية، وغيروا أسماء المراكز الاستشراقية إلى مراكز الشرق الأوسط، وهم تسموا بـ « **الخبير** »، أو « **المستعرب** »، أو **المتخصص في كذا من شؤون الشرق الأوسط**، سواء الدينية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو الجغرافية، أو غير ذلك. [5]

ويرجع إدوارد سعيد هجر الغربيين لمصطلح الاستشراق ومحاولة تغييره إلى أسباب منها كونه يتضمن الموقف التنفيذي السلطوي للاستعمار الأوربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي [6] .

---

[1] جون إسبوزيتو مستشرق أمريكي معاصر من أصل إيطالي، ، يعمل أستاذاً في الأديان والشؤون الدولية بجامعة جورج تاون بواشنطن، وترأس مجموعة من الهيئات المهتمة بالإسلام والشرق الأوسط، ويرأس الآن تحرير موسوعة العالم الإسلامي المعاصر التي ستنشرها جامعة أكسفورد، وله مؤلفات عديدة حول الإسلام ومنها الإسلام والسياسة، والإسلام والصراط المستقيم، والمرأة في الأسرة المسلمة، والثورة الإيرانية، والخطر الإسلامي بين الوهم والحقيقة وغيرها. ( الاستشراق والدراسات الإسلامية – الدكتور علي النملة ص ١٣٢، ومستقبل الإسلام السياسي- وجهات نظر أميركية- د/ أحمد سيف- ١٦٤).

[2] الاستشراق والدراسات الإسلامية – الدكتور علي النملة ص ١٣٢

[3] الاستشراق في الأدبيات العربية – الدكتور النملة ، ص ٢١ .

[4] أزمة الاستشراق – محمد خليفة ص ١٢٧.

[5] الاستشراق مصدراً من مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المعاصر – الدكتور علي النملة ص ٧- ٨.

[6] أزمة الاستشراق ص ١٢٨

أما الدكتور علي النملة فيحسن الظن حيناً فيرى أن مجرد الهروب من المصطلح يوحي أنَّ هناك نية لطرق أبواب الموضوعية ( من قبل المستشرقين ) في دراسة أحوال المسلمين خصوصاً في الوقت المعاصر الذي ظهر فيه صيت الإسلام، وحيناً آخر يقول: إن ذلك يوحي أنَّ هناك تكتيكاً جديداً لا يعدو أن يكون استمراراً لفكرة الاستشراق ومنهجه، ولكن مع محاولة تغير المصطلح طمعاً في القبول وكسباً للوقت [1]. وهذا ما ذهب إليه الدكتور محمد خليفة فيقول:«إن التنصل من مصطلح « الاستشراق » و « مستشرق » ليست في الحقيقة سوى محاولة للخداع والتمويه على المسلمين، وهي عند بعض المستشرقين المعاصرين محاولة للتركيز على تخصص معين داخل الاستشراق ..وهو اتجاه يمثل نزعة إلى التخصصية خصوصاً مع اتساع مجالات الاستشراق ..»[2] .

*****

[1] الاستشراق في الأدبيات العربية ص ٢١-٢٢ .

[2] السابق – ص ٢٧ .

## المطلب الثاني: نشأة الاستشراق ومراحل تطوره.

وفيه :-

١- نشأة الاستشراق.

٢- مراحل تطوره.

## ١- نشأة الاستشراق :-

لا شك أن هناك عوامل وأسباباً دعت الغربيين للاتجاه للدراسات العربية والإسلامية، ومنها انتشار الإسلام في وقت قصير جداً، وتوسع الفتوحات الإسلامية في أصقاع المعمورة، وانتصارات المسلمين في الحروب المسلحة التي دارت بين المسلمين الفاتحين، والبيزنطيين الأوربيين، وبلوغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار في وقت قصير جداً، ومحافظتهم على تراث القدماء ( اليونان وغيرهم ) في بعض مجالات العلوم [١] كل هذه العوامل- كما قرر أحد المستشرقين أنفسهم - دعت الأوربيين وحثتهم على الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية [٢].

هذا بالإضافة إلى الأسباب الدينية، والتبشيرية، والتجارية والسياسية ، والعسكرية، والعلمية والشخصية [٣]، والتي سوف نبينها قريباً- إن شاء الله- ، كل هذه عوامل وأسباب دعت الغربيين إلى الاستشراق ودراسة الشرق، وعلى وجه الخصوص الدين الإسلامي .

### فمتى نشأ الاستشراق في الغرب؟

اختلف الباحثون والمهتمون بالدراسات الاستشراقية في تحديد نشأة الاستشراق، وقد عد بعضهم تحديدها معضلة فكرية معقدة [٤]، ونفى البعض معرفة أول غربي عُني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك.[٥].

ومع ذلك فإن الباحثين لم يجدوا بداً من محاولة تحديد نشأة الاستشراق :-

فمنهم من يرى أنَّ الاستشراق وجه من وجوه العلاقة بين الإسلام والغرب، وبمعنى أصح وجه من وجوه الصراع بين الإسلام والغرب، كما وصفه الدكتور حمدي زقزوق بقوله:(( الاستشراق في حقيقة الأمر، كان ولا يزال جزءاً لا يتجزأ، من قضية الصراع

---

[١] وذلك من خلال الترجمة التي حدثت في عهد المأمون .

[٢] تاريخ حركة الاستشراق - يوهان فوك ترجمة عمر لطفي العالم ص ١٣.، وكتابات علماء مقارنة الأديان في الغرب كمصدر معلومات عن الإسلام والمسلمين – تحليل وتقويم- الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ص ٢٠.

[٣] الفكر الإسلامي الحديث – الدكتور البهي ص ٤٣٠.

[٤] فلسفة الاستشراق – الدكتور أحمد سمايلوفتش ص ٥٤.

[٥] الاستشراق – السباعي – ص ١٧ ، و أحجمة المكر الثلاثة – حبنكة ، ص ١٢٠ .

الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول: إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع »[1].

ولا شك أنَّ الصراع قائم منذ زمن الرسول ﷺ، وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم، أن أهل الكتاب قد اتخذوا كل الوسائل لصد الناس عن دين الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ للناس كافة،فقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [ البقرة : ١٠٩] وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [ آل عمران : ٩٨-١٠٠] ،

فهم كفروا بآيات الله، وصدوا عن سبيل الله، وحرفوا كلام الله، وطعنوا في دين الله، وكتموا الحق وألبسوه بالباطل، فالاستشراق والمستشرقون امتداد لتلك الظاهرة القديمة، وشر خلف لأولئك السلف، والافتراءات والشبهات التي أثارها الأقدمون، هي التي يتشدق بها المتأخرون بطريقة أو بأخرى [2].

وممن يرى أن الاستشراق امتداد للصراع بين الحق والباطل الدكتور السيد أحمد فرج حيث أرجع بداية الاستشراق لمعركة مؤتة [3] فقال: وبدأ الاستشراق مبكراً مع أول التحام بين الإسلام والنصرانية منذ موقعة مؤتة سنة ٦٢٩م ، ( ثم تلتها معركة اليرموك [4] ٦٣٦م )، ولما كانت الغلبة للإسلام، كانت النتيجة الحتمية ازدياد حقد الطرف المنهزم

---

[1] الإسلام والاستشراق – زقزوق – ص ٣.

[2] رؤية إسلامية للاستشراق – أحمد غراب ص ١١-٢١.

[3] مؤتة: قرية في الشام ومعركتها كانت سنة ثمان للهجرة وكان سببها أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير رسولاً إلى بصرى شرحبيل بن عمرو عامل هرقل فقتل رسول رسول الله ﷺ فبعث إليهم ثلاثة ألف رجل واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: **إن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة** فصاروا حتى بلغوا مؤتة واستشهدوا وأخذ الراية خالد بن الوليد ﷺ ( فتح الباري ٥١٠/٧، والبداية والنهاية٢٤٢/٤)

[4] معركة اليرموك وقعت بين المسلمين بقيادة أبي عبيدة ﷺ والروم وكانت في رجب سنة خمسة عشر للهجرة في زمن عمر بن الخطاب ﷺ ( البداية والنهاية- ابن كثير- ٥/٧).